قرطاس

▪ أحمد عبد الحسين

قـمـم .. قـمـم

للقمـم العربيـة صيتٌ سيّـئ يتمثل في عـدم فاعليتها، اقتصارهـا على الهذر الذي برع فيه بعض القادة أمثال القـذافيّ، وانشغالها بالشعار دون خطة عمل "مثال ما حـدث في قمة الخرطوم ولاءاتهـا الثلاث التي سرعان ما تحوّل كلّ منها إلى نعم".

طبيعـيّ أن تكـون القمـة ضعيفـة، لضعـف أعضائهـا وقلّة تدبيرهم، نحن أمـة مهزومة، ليس بسبب أميركا وإسرائيـل كما يُظنّ عادة وكما يـروّج له العقائديون، بـل بسبـب الحكومـات القمعيـة المتخلفة التـي تحتلّ الدول الناطقة بالعربية.

كانت القمـم على الدوام مظلة لحمايـة الحكام العرب، ورغم ما يلاك فيها من رطانات عن فلسطين وتحريرها، والمؤامرات والتصدي لهـا، فإن المواطن العربي يدرك أن شجرة الشوك لا تثمر تفاحاً، فحاكم اغتصب السلطة بقوة العسكر وقمع الناس بالحديد والنار لا يمكن له أن يمنح حرية لشعبه، وآخر ورث عرفاً متخلفاً وسعى جاهداً لتكريس هذا التخلّف مدعوماً بقوة البترودولار لا يمكنـه أن يجعل مستقبل بلـده مشرقاً، وآخر خائف من بطانتـه ومنشغل أبداً بالصراع مـع شركائه على كرسـيّ يريـده أن يتأبّـد، لـن تتصـوّره إلا سادناً لهذا الكرسيّ وعبداً له.

القمـم العربيـة التـي قيـل .خطـأً. إن العـرب يتفقون فيهـا علـى أن لا يتفقـوا، كانـت تسفر دائماً عـن اتفاق الحـكام في ما بينهـم على عقد مقدّس يقضي ببقائهم متسلطين على رقـاب شعوبهم، مثلها مثـل اجتماعات وزراء الداخليـة العرب الذي قيل عنها دائماً إنها أسهل "القمم" العربية وأسلسها لأن الجميع فيها متناغمون ومتفاهمون ويعرفون ما يريدون: تبرير قمع الشعوب وتبادل الخبرات في هذا مجال إدامة الكراسيّ.

ستعقـد قمة بغداد والحكام العـرب .لحسن حظنا. في أسـوأ حالاتهـم، فمنهم من قضـى نحبه "أتسـاءل مَنْ سيمـلأ دور المهـرج بعد القـذافيّ؟" ومنهم مـن ينتظر مصيـره "الأسـد الابـن سـيرى قمـة أشقائه مـن على شاشة التلفزيون"، وكثير منهم محاصر بغضب شعبه أو بأزمات تجعل دولته أقلّ من أن تكون دولة.

إنه أمر مفرح أن نرى صعوبة اجتماع هؤلاء الدهاقنة، وأن نبصر كم هم مثيرون للشفقة.

في مقابل هذه القمم، ثمة قمم للشعوب العربية تعقد كلّ يـوم بيسر وسهولة، وهي قمم فاعلة وأنتجت ثورات، قمم لا تنتظر إجراءات أمنية مشددة لتقام، ولا تصرف فيها المليارات من أجل ثلاث ساعات. القمة تعقد يومياً والدعـوة عامـة .. فقط عليـك أن يكون لـك حساب في الفيسبوك وأن تعرف كيف تستخدمه.

قـمّـة بـغـداد المـرتـقـبـة ..مـــاذا لـو؟

د.نعمه العبادي

هل تسهم القمة في حل مشاكل العراق؟

منذ نيسان عام ٢٠٠٣، والحديث لا ينقطع عن ضرورة عودة العراق إلى حاضنته العربية ،والعرب في اغلب الأحوال لا يظهرون تحمسا لذلك ،ولم نتحسس حرارة الشوق من إخوتنا.

لم تكن وتيرة العلاقات العراقية – العربية، على نسق واحد، بل اختلفت من دولة إلى أخرى، وحتى على مستوى الدولة الواحدة، اختلف مستوى العلاقات معها من وقت إلى آخر.

في العام الماضي ، ناضلت الحكومة العراقية من اجل إقناع الـدول العربية،بإقامة قمتها القادمـة في بغـداد ، ولم يكـن الوصول إلى موافقـة العرب سهـلا ، ومع ذلـك تم تأجيل انعقادهـا بذرائـع مختلفـة ،وبنـاء علـى الوعود الجديـدة والترتيبات المعلنة سوف تنعقد في نهاية مارس/ آذار الحالي.

تنـدرج مجموعـة تسـاؤلات حـول القمـة ومصيرها، والنتائـج المرتقبة منها، وتدور التساؤلات بناء على فرضية ماذا لو؟

ماذا لـو، تأجل المؤتمر الوطنـي إلى ما بعد انعقـاد القمة؟ في لقاء مـع راديو (sawa) ،قال السيد إياد علاوي زعيم القائمة العراقية ،في حالة تأخر انعقاد المؤتمر،سوف نعرض ملف الأزمـة العراقية على الجامعة العربية ،وليـت شعري، ماذا سـوف يعرض في هذا الملف؟هل الهدف من انعقاد القمة، أن تكون حكما أو وسيطا بين الفرقاء السياسيين في نزاعهم؟ومتى كان الإخوة العرب حريصين علـى تسوية خلافات العراق ومساعدته في تجاوز محنته؟وفي حالة من هذا النوع،هل سنقـول للعرب،إن حكومتنـا ليست شرعية ،أو غـير مرضيـة ،أو لا يمثـل خطابهـا العـراق؟وإذا صـار مثل هـذا الحديث،فأي مكانة لنـا نرتجيها بين العرب عندما نسوق أنفسنـا على مثل هذه الحالة؟وكم من الأيام تحتـاج القمة العربيـة للانعقـاد حتى تحل الأزمة العراقية، التي تراوح في مكانها منذ قرابة التسع سنوات؟

وماذا لو، عجلنـا بعقد المؤتمر الوطني قبل القمة؟ ألا يمكن أن يكون توقيت القمة بمثابة ضاغط على الأطراف من اجل الوصول إلى حلـول وسطية؟ مـاذا لو ، رفـض الأطراف المتنازعـون الاستجابة إلى الحـل، فهل من حديث عن القمة بعد ذلك؟

ماذا لـو، كان التمثيـل في الجامعة العربية قـد تجاوز حـدود التوقع،فـأي نتائج يمكن لقمة بغداد أن تؤديها؟ هل من مؤشرات لأن تكون القمة بمستوى عال في التمثيل؟

المؤشـرات والدلائـل المتاحـة بـين أيدينا ، تؤكد أنهـا قمة وزاريـة تقريبا،وقد يحضر فيها بعض الرؤساء والملوك ،أو نوابهم في أحسن الأحوال،فماذا لو ، كان هذا مستوى القمة،فهـل مـن نتائـج ملموسـة أو قضايا حيوية يمكن حسمها في قمة من هذا النوع؟

وماذا لو ، وصفت قمة بغداد بالقمة الفاشلة (لا سمح اللـه)،أو الروتينيـة والمستهلكة ؟ هـل كانـت كل هـذه الجهـود والخسائر من اجل عقـد القمة فقط، لنقـول انعقدت القمة في بغداد وكفى؟

مـاذا لو ،أصـرت أطراف محليـة ،أو عربية ،أو دولية ،أو الكل معا، على دعوة من يمثل المعارضـة السوريـة للحضـور في القمـة، سـواء دعـوة أشخاص أو دعـوة ما يسمى بالمجلس التأسيسي؟ ومـاذا لـو ، أصـر اليمنيـون الجنوبيـون ، أنهـم لا يعترفون بالانتخابـات القائمـة، والوحـدة مع اليمن الشمالي ، وأنهم يريدون تمثيلا مستقلا لهم في القمـة؟ ومـاذا لو ، حذت أطـراف أخرى في دول التغيـير حـذو الطلـب السـوري واليمنـي؟ ومـاذا لـو ، امتنعـت القمـة عن إدانة التصريحات البحرينيـة ،بأن العراق "بلـد يأتي منه الشـر"، وأصرت على عدم إدانة العنف الذي يجري في البحرين؟

ماذا لو، عرضت قطر أو دول الخليج العربي نقل مقـر الجامعة العربيـة إلى الدوحة، أو إلى إحدى العواصم الخليجية؟

قـد يقول البعض، لا ينبغي أن نتحدث بهذه اللغـة قبيل انعقاد القمة في بغداد، بل يجب أن ندفع باتجـاه انعقادها فقـط، وهو كلام أتفـق معـه جزئيـا، إلا أني أرى، أن وضـع النعامة لا يخدمنا في هذه الأوقات.

هـذه القمـة ، تأتـي في ظـروف حرجـة وحساسـة، والوضـع العربـي في حالـة اضطراب وتفكك، والمنطقة ملتهبة بالأحداث والتغـيرات، والعـراق ينتظـر حدثـا مهما يعزز بـه علاقاته العربيـة المتردية منذ عام ١٩٩٠، لذلـك ينبغـي ،أن نضـع بالحسبان كل الاحتمـالات والتوقعات التـي يمكن،أن تواجه نجاح القمة.

وقـد يقول قائل: ومـاذا سوف تفعـل القمة للقضايـا العربية والعـراق، أليس كل الذي عندهـا هو الشجب والتنديـد، أو التوصية بقضايـا لا يلتـزم بهـا احـد، وهـو حـال القمـم السابقـة ؟ إلا أننـا نجيبـه ،صحيـح مـا تذهـب إليـه ، لكننـا لا نريـد أن يحمّـل العـراق مسؤوليـة فشـل العـرب وانعـدام إرادتهم،فيقـال لو أن القمـة عقدت في مكان آخر، لحضرها الرؤساء والملوك ، ولأنجزت كذا وكذا.

ومـن جهة أخرى هناك الكثير ممن يتربص بالعـراق الجديـد ، والعمليـة السياسيـة سـوءاً ولا يـروق لـه ،أن يعود العـراق إلى ساحة التأثير في محيطه العربي والعالمي، ويبحـث عن أي ثغـرة للتشنيع والانتقاص مـن أداء القـوى السياسيـة والحكومـة وعمليـة التغيير عموما، ولهـذا لا بد من أن نسحب جميـع الذرائع والحجـج من أيدي هـؤلاء المعوقـين والمرجفـين ، ونتأكـد مـن سلامة الأمور وانسيابيتها بشكل صحيح.

لا يتسنـى لي في هـذه المقالـة الموجـزة،أن أقـدم حلـولا تفصيليـة لـكل الافتراضـات والتحديـات سالفـة الذكـر، ولكنـي أقـدم إشـارات موجـزة يمكـن أن تكـون منطلقا لحلول تفصيلية.

أرى ،أنـه لا بـد مـن الصـيرورة في ملـف المؤتمـر الوطنـي إلى احد خيارين: الأول ،أن نسـرع في انعقاده قبـل القمة، ونسوي الخلافات القائمـة ولو جزئيا، بحيث يكون احد مقرراتـه واتفاقياتـه ،أن نحضر القمة متوحديـن ، ونخاطـب العـرب بوصفنـا كعـراق موحد مستقل يحمل مواقف محددة مـن كل قضايـا المنطقـة والعالم.أما الخيار الثاني،فـإذا تقـرر تأجيـل المؤتمـر إلى مـا بعـد القمة ،فلا بد من توقيع ميثاق أو اتفاق بـين أطـراف الأزمـة ، يلـزم الجميـع بعدم طرح أي شـأن داخلي في اجتماعات القمة ، ويترك المجال للرئاسات الثلاثة أن تتعاطى مـع القمـة ومتطلباتها، بحيـث يكون بحث الخلافـات والتقاطعات بعـد أن تنهي القمة أعمالها، وينصرف الضيوف إلى أهلهم.

رب قائل يقـول: ولماذا لا نطرح مشاكلنا في القمة؟ هل هي مخفيـة؟ العرب والعالم كلهم يعلمـون مـن خـلال الإعـلام مـا يجري في العراق،وأن هناك أزمة قائمة.

أتفق ، أن العـالم يتفرج على مشاكلنا، وهو مطلع عليها، وهـي حالة غير صحية في كل الأحوال ،لكن هذا يختلف عن وضع أنفسنا بنواقصنـا ، وتقصيراتنـا ، وتقاطعاتنـا وصـراخ بعضنا على الآخـر واتهام بعضنا الآخر بين يـدي الآخرين.ماذا يمكن لقمة لا تتجاوز الثلاثـة أيام ،أن تحل من المشكلات العراقيـة المأزومة؟ ثـم إن معالجة الأطراف الحاضرة من الصعب جدا،أن تكون حيادية ، وعندهـا سندخـل في ندية مـع ضيوفنا، ونصبـح فريقا معهم وفريقا ضدهم، وهذا يسـيء إلى مكانـة العـراق وقيمته في نظر الآخرين.

أمـا في مـا يتعلـق بمشكلة التمثيـل ،فلا بد مـن اتخـاذ مسطرة واحـدة يتـم التعامـل بهـا مـع الجميـع، فمثـلا يدعـى إلى القمـة الحكومـات المعـترف بها في مجلـس الأمن والأمم المتحـدة، وبذلـك نقطع الطريق على أي مطالبـات جانبية ،يمكـن أن تعكر صفو القمة على أقل التقدير.

ختامـا،لا بد مـن أن يجهـز العراقيون رؤى ومواقـف واضحة ومحـددة ومدروسة من جميـع القضايـا التـي يمكـن أن تبحث في القمـة ،وأن يصار إلى اتفـاق مبدئي مع كل الأطراف السياسية المحلية حول تبني هذه المواقف، لتكون كلمتنا مؤثرة وفاعلة.

• مدير المركز العراقي للبحوث والدراسات

كاريكاتير

■ عادل صبري

بورتريه

قوّة "مـزيّـفـة" .. "قاعـدة" حقيـقـيّـة

صادم ما جرى في قضاء حديثة مؤخراً، ليس بحجم ما خلفه من ضحايا فقط، بل ما كشف من حقائق تثير الرعب والهلع وتبدد كل أمل باستقرار العراق أمنيا وسياسيا على المدى القريب.

قوة "مزيفة"، والواقع أن لا زيف فيها سوى ملابسها العسكرية والسيارات الثماني التي كانت تستقلها، فبحسب محافظ الأنبار أنها سيارات مصفحة تعود للشركات الأمنية الأميركية التي باعتها إلى قوات الأمن العراقية لتستخدمها قوات (سوات)، وكذلك ما تحمله هذه القوة من هويات وكتب مزورة، وفقا لما جاء في التقرير الذي نشرته "المدى" في السادس من الشهر الجاري.

أحمد حسين

لكن القوة التي نفذت هذه العملية قوة حقيقيـة بكل معنـى الكلمـة، بعمليتها هـذه تؤكد أن تنظيم القاعدة الإرهابي هـو الآخر قوة حقيقية مـا زالت فاعلة ونشطـة في العـراق عمومـا والمنطقة الغربية خاصة، وهو ما يؤكده رئيس مجلس إنقاذ الأنبار إذ قال "الجماعات المسلحـة التابعـة لتنظيـم القاعدة لها نشـاط واسـع في المحافظـة ولديهـا بعـض المتواطئـين مـن الشرطة وهي شبـه مسيطـرة علـى المنطقـة الغربية وتقوم بعمليات متكـررة بشكل يومي ومن يقـول إن الوضع الأمني مستتب في المحافظـة فهـو يكـذب فالشرطـة مخترقـة وتنظيـم القاعـدة لـه وجود فاعـل". وهو مـا يعنـي أن القاعدة ما زالـت فاعلة في جميع مناطـق العراق إلا أنهـا استبدلت هجماتها العشوائية بالعمليـات النوعيـة، واستعاضت عن مجازرها الوحشيـة بحصد العشرات والمئات مـن الضحايا بتكتيـكات ذات صدى إعلامي مدوّ.

ما يثـير الهلع هـو تصريحات محافظ الأنبـار، فهـو يتحـدث عن تنقـل هذه المجموعـة الإرهابية بين عـدة مناطق في حديثـة، فبعـد أن هاجمـت عـددا مـن نقـاط التفتيـش التابعـة للجيش والشرطـة، انتقلـت إلى مركـز شرطة الحقلانية، لتتوجـه بعد ذلك إلى منزل أحـد مسـؤولي الصحـوة وتختطفـه ومن ثم تلقي بجثتـه، لتعود إلى منزل آمر فوج قوات التدخل السريع وتكرر نفـس سيناريـو الاختطـاف والقتـل، لتأتـي تصريحـات المصـادر الأمنيـة بما هو أشد إفزاعـا تقول فيها إن هذه المجموعـة الإرهابية قدمـت من قضاء بيجـي في محافظـة صـلاح الديـن، ونفذت عمليتهـا التي أودت بحياة ٢٥ عنصـرا من القوات الأمنيـة وأصابت ١٠ آخرين بجـروح متفاوتة، من دون أن تخسر هذه المجموعة سوى وحش واحد مـن وحوشها. وعلى ما يبدو أن هذه المجموعة لم تكن مفخخة الأجساد أو السيـارات، إذ لـو كانت كذلك لربما نكبت الأنبار بمئات الضحايا.

مخيف أن تخطط خلايا تنظيم القاعدة بهـذه الطريقـة المخابراتيـة، ومثـير للقلـق اطمئنانهـا وهـي تقطـع مئات الكيلو مترات وتتجول في عدة مناطق سكنية وأمنية دون خوف، وأعتقد أننا كمواطنـين بعد هـذه العملية يفترض بنا إعـادة ترتيب احتياطاتنـا الأمنية البائسـة والتهيـؤ ربمـا لمرحلة هجرة ونـزوح جديـدة، فمـن المؤكـد أن هذه القـوة "الحقيقيـة" ستنفـذ العديد من عملياتهـا النوعية، ومـن المؤكد أيضا أن مواكب المسؤولـين ستظل مصونة العـورة مـن أنظـار نقـاط التفتيش وقـوات الأمـن، وبطبيعـة الحـال سيعاود نهر الدم عنفوانه الذي تخاذل نسبيا قبل نحو عام أو عامين.

جسـر

مـــع الـنـجـيـفـــي فـــي الـكـويـــت

سعد بن طفلة العجمي×

عقـد في الكويـت الأسبـوع الماضـي مؤتمر الاتحاد البرلماني العربي. وجاء عقده تلبية لدعوة من رئيسه الكويتي النشـط النائب علـي الدقباسـي، وقد كان الملتقـى تظاهرة مهمـة للبرلمانيين العـرب، ومناسبـة للتعـرف عـن كثب على البرلمانـات العربية الجديدة التي جاءت إثر ثورات الربيع العربي وعلى رأسها البرلمانان المصـري والتونسي اللذان حضر رئيساهما المؤتمر.

وقد غابت ليبيا التي لم تجر انتخاباتها البرلمانية بعد، وسوريا التي هي دولة المقر لكن برلمانها صورة منسوخة لـ" الجبهة الوطنية " التي تحكم البلاد بالحديـد والـدم والنار، ولبنـان التي قاطعـت المؤتمـر لأن (سوريـا الأسد) "بدهـا هيك"، ولأن حزب الله وإيران طالبتـا بالمقاطعـة مـن أجـل التفـرغ "للمقاومة" ضد الشعب السوري في مواجهة نظامه.

لم تعـد البرلمانات العربية كسابقاتها، أي أنها لم تعد نسخا لحكوماتها، فلقد ولى عهد النسخ البرلمانية المنقحة حكوميا، وذهب بـلا رجعة عهد أولئك البرلمانيـين الذيـن يـرددون ببـلادة ورتابـة مـا قالـه الرئيـس الضـرورة والقائد الملهم والزعيم الهمام.

التقيـت بالوفد البرلـماني العراقي في ديوان رجل الثقافة العربية المعروف السيـد عبدالعزيز البابطين، وقـد كان السيـد أسامـة النجيفـي ، رئيـس مجلـس النـواب العراقـي، مترئسـا الوفـد الضيـف. كنـت ممـن حاور الرئيس النجيفي من الحضور، وقـد انصب الحوار حـول أهمية بناء جسـور الثقـة بـين البلديـن- الكويت والعـراق- وأهميـة تأمـين الاستثمار لتشييـد جسـور جديدة تعيـد اللحمة بـين الشعبـين علـى أسـس مصلحية تقطـع دابر المغامـرات وتمحـو ثقافة الغزو والضم والحروب.

ولقـد قـال الرجـل كلامـاً عكس ثقته بنفسـه وثقتـه بحريـة وصولـه إلى مكانتـه البرلمانيـة، وتحـدث بتلقائية شاركـه فيهـا بعض زملائـه النواب. وكنـت أقـارن وأنـا أستمـع إليـه بين نبرة صوتـه وتدفقه التلقائـي برأيه- صوابـاً كان أم غير ذلـك- وبين نواب "المجلس الوطني" أيام صدام حسين في المحافل الدولية.

ففـي التسعينـات، عملـت مستشـاراً ومترجماً بالشعبة البرلمانية بمجلس الأمـة الكويتـي- أي وزارة الخارجية البرلمانيـة في أي برلمان، وهو ما أتاح لي فرصـة الاستمـاع لبعض نـواب المجلس الوطنـي العراقي أيـام حكم الحـزب الواحد وتسلـط الدكتاتورية الصدامية علـى كل مؤسسات العراق، وكنـت أستمـع إلى كلمات معـدة سلفا كان يلقيهـا رئيـس المجلـس سعـدون حمـادي وزمـلاؤه المرافقـون. كان التوتـر يسود أجواء الوفـد، والتلفت والالتفـات سمـة المشاركين، والخوف واضـح في ثنايـا الكلمـات، والثقـة بالـرأي مفقودة في بغـداد، والأعضاء يشاركـون مراقبة لزملائهـم الأعضاء الآخرين.

في إحـدى المـرات، عقـد الاتحـاد البرلمـاني العربـي لقـاءه السنوي في الربـاط بالمغـرب، واتفـق المشاركون في لجنـة الصياغة علـى مسودة بيان ختامـي يطالب نظام صـدام بالالتزام بالقرارات الدولية، وهو ما وافق عليه الوفـد العراقـي ولكـن أثنـاء الجلسة نكث وفد صدام حسين بموافقته وذلك بعـد اتصال هاتفي أتى مـن "القيادة" بعدمـا قـرأوا المسـودة عـبر الفاكس، وطالبوا بإعـادة صياغـة البيان الذي تم الاتفاق عليه، فاحتـج وقتها رئيس مجلـس النـواب الأردني سعـد هايـل سـرور وردد "هـذا مش لعـب عيال"، ممتعضـاً من خـرق الاتفـاق في لجنة الصيـاغـة ثـم الانقلاب على مـا اتفقوا عليه.

أسـوق هـذه المقارنـة لأني استمعت لنـواب عراقيـين انتخبهـم شعبهـم بحريـة، وعـبروا بـكل ثقة عـن رأيهم أثناء حديثهم دون خوف أو تردد...

وعلـى الرغـم مـن كل النواقـص في الديمقراطيـة العراقيـة، ورغم تشرذم المشهـد السياسـي العراقـي اليـوم، ورغـم كل العقبـات التـي تعترض سبيـل العمليـة السياسيـة بالعـراق، إلا أن الحريـة تخلـق ثقافة مـن الثقة، وصراحـة ووضوحاً في الرأي لم تكن موجودة أيام الدكتاتورية الصدامية.

× كاتب وأكاديمي كويتي